الحوار بدلا من المعارضة

في ساحل العاج
إسرائيل تبيع الكنكريت في السوق السوداء

بقلم : أحمد طلعت

اذا كانت الهند قد سميت ـ فى عصور الاستعمار ـ درة التاج البريطانى ، فان ساحل العاج كانت تمثل ولا شك جوهرة الامبراطورية الفرنسية ..

ارض واسعة فى غرب افريقيا ، يمتد ساحلها على شواطىء المحيط الاطلسى ، وتنتج ثلث استهلاك العالم من الاخشاب ، والبن ، والكاكاو ، وكميات هائلة من المحاصيل الزراعية الاخرى .

وقد حرصت فرنسا ـ بعد انتهاء عهد الاستعمار ـ ان تحتفظ بعلاقات خاصة مع جمهورية ساحل العاج ، وان تقيم معها تعاونا اقتصاديا واسعا ، يخدم مصالح فرنسا من جهة ، ويساعد على تطوير الاقتصاد الوطنى لساحل العاج من جهة اخرى .

ولقد ساعد على نجاح هذا التعاون الاستقرار السياسى الذى حظيت به جمهورية ساحل العاج ـ بعد استقلالها ـ وبعد ان تولى رئاسة الجمهورية فيها الرئيس فيلكس بوانييه .

ولقد كان طبيعيا ـ مع بداية عهد الاستقلال ـ ان تظهر حركات سياسية فى ساحل العاج تطالب بالقضاء على المصالح الاقتصادية الفرنسية فى البلاد وبتأميم المنشآت الاجنبية تدعيما للاستقلال الوطنى ..

لكن الرئيس بوانييه كانت له ـ منذ البداية ـ فلسفة خاصة تقول بأن ساحل العاج غنية بمواردها الطبيعية ، لكنها فى حاجة الى رأس المال والخبرة الفرنسية لاستغلال هذه الموارد وتنميتها

وكان فى رأيه ان اية دولة سوف يكون هدفها الحقيقى هو نفعها الاقتصادى وعائداتها من تلك العملية ، وبناء عليه فان الاهداف الحقيقية لاية دولة لن تختلف عن اهداف الاخرى ، مما يجعل التعاون مع فرنسا هو الاقرب الى المنطق ، بالنظر الى عناصر اساسية فى هذا التعامل منها :

● وحدة اللغة بين البلدين ، وكانت فرنسا قد نجحت ـ شأنها دائما مع مستعمراتها ـ فى تحويل شعب ساحل العاج الى شعب ناطق بالفرنسية .

● ان شعب ساحل العاج قد تعود على الاسلوب الفرنسى فى ادارة الاعمال ، وتنظيم المنشئات ، مما يجعل التعاون المشترك بينهما ايسر وأسرع فى تحقيق الاهداف .

● ان معظم المثقفين فى ساحل العاج قد تلقوا دراساتهم العالية فى فرنسا ، مما يجعلهم اقرب الى طباع الشعب الفرنسى وثقافته منهم الى اى شعب اخر

● **ان شبكة هائلة من المواصلات البحرية والجوية اقامتها فرنسا على عهد الاستعمار لتربط بينها وبين ساحل العاج ، يمكن ان تخدم التعاون الاقتصادى بين البلدين ، فضلا عن ان استبدالها او توجيهها نحو بلد اخر عملية تتكلف مليارات الفرنكات ،**

● الرئيس فيلكس بوانييه ● سياسة الحوار

تستغرق سنوات طويلة من العمل الشاق ، وللرئيس بوانييه تعبير مشهور يقول « ان رخاءنا الاقتصادى يمر عن طريق البحر » اشارة الى ضخامة فاعلية الاسطول التجارى .

وعلى الناحية السياسية ، كانت للرئيس بوانييه فلسفة اخرى تقوم على ان الحوار الهادف هو البديل للمعارضة المتطرفة ، لذلك قامت سياسته على « الحوار » مع كل الاراء المعارضة فى اجتماعات مفتوحة يستمع فيها الى كل الاراء ، ويناقش فيها كل الاراء بروح ديموقراطية اصيلة ، ونزعة ابوية مسئولة .

وكان الرئيس بوانييه يوجه سؤالا واحدا ، واضحا ومحددا ، للمطالبين بالتأميم هو :

ـ ماذا نؤمم .. ؟

ويستطرد قائلا :

مادمنا لانزال فى بداية الطريق ، ومشاريعنا الاقتصادية فى بدايتها ، فان الافضل ان ننتظر حتى ينمو اقتصادنا ، وتكثر المشاريع فى بلادنا ثم نؤمم بعد ذلك ما نريد .. ! !

وفى ظل الاستقرار السياسى والاقتصادى ، استطاعت ساحل العاج ان تجتذب المزيد من المشروعات الاقتصادية الحيوية التى تساندها وتدعمها الخبرة الاجنبية .

● **اصبحت ابدجان العاصمة مقرا لشركة الخطوط الجوية « ايرافريك » التى تساهم فى ملكيتها معظم الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية ، وتدعمها خبرة شركة الطيران الفرنسية « ايرفرانس » .**

● اصبحت ساحل العاج مقرا للبنك العربى الافريقى للتنمية ، وكانت معركة اختيار مقر للبنك قد حسمها استقرار ساحل العاج السياسى الاقتصادى ، وشبكة المواصلات القوية التى تربطها بأنحاء العالم .

● **أقيم فى ابدجان ،اكبر مقر لهيئة الرقابة على الصادرات يتكون من ٢٣ طابقا ، ويرتبط باتصال لاسلكى مباشر بأسواق تجارة البن فى لندن ونيويورك**

وعندما انشىء هذا المبنى ـ منذ عشرة اعوام ـ كان الافارقة يمثلون ٣٪ من العاملين فيه ، واصبحوا الان يمثلون اكثر من ٧٠٪ ابتداء من اكبر الوظائف القيادية ، وحتى اصغر المهن الفنية .

● افتتحت بعض الشركات العالمية الكبرى فروعا لها فى ساحل العاج وفى

● سباق ابدجان الدولى اكبر سباق للسيارات فى العالم ●

مقدمتها شركة « نستلة » السويسرية التى تصدر انتاجها الى انحاء العالم ومنه البحرين ..

وعندما أرادت مصر ان تنفتح على الدول الافريقية . اختارت مدينة ابدجان عاصمة ساحل العاج . لتقيم فيها بناية ضخمة للمكاتب فى قلب العاصمة . وقد استغرق اتمام المبنى خمسة سنوات . واصبح يمثل الان احد المعالم الهامة فى العاصمة .

ولم تسكت اسرائيل فى مواجهة هذا المد العربى فى غرب افريقيا . فتقدمت لتنفيذ مشروع سياحى هائل . اسمته « مشروع الرفييرا الافريقية » واختارت له مساحة واسعة من الساحل مطلة على المحيط الاطلسى لتحولها الى منطقة سياحية تنافس الرفييرا الفرنسية المطلة عاى شاطىء البحر المتوسط .

وفى ثلاثة اعوام فقط ، استطاعت اسرائيل ان تنتهى من بناء اول منشآت هذا المشروع وهى فندق «قرية ابدجان» الذى يحتوى على الف غرفة وقاعة للمؤتمرات تتسع لخمسة الاف شخص ومزودة بأحدث معدات الترجمة وقاعات اللجان ، فضلا عن نادى للمقامرة وبرك صناعية تدخل اليها مياه المحيط بعد تنقيتها . وصالات للتزحلق على الجليد الصناعى وبقية الالعاب الرياضية الاخرى ..

واذا كان للبشر ان يتصوروا شكل الجنة ، وان يرسموا لها صورة فى خيالهم ، فان « قرية ابدجان » يمكنها ان تجسد هذه الصورة على الارض .

وقد ساعدت الطبيعة فى ساحل العاج . والمناخ المعتدل على ان تجعل من هذا الفندق قطعة من الجنة فالزهور البرية تحيط به من كل جانب . واشجار المانجو الموز وجوز الهند تنمو فى حدائقه الواسعة . والحسناوات من كل بقاع الارض يتمددن على الاعشاب الخضراء المحيطة بحمامات السباحة لينعمن بدفىء الشمس وجمال الطبيعة طوال العام .

لكن اسرائيل لم تقم هذا المشروع من اجل سواد عيون الافارقة فى ساحل العاج ـ فهى تتصرف دائما بعقلية « تاجر البندقية » ـ وقد استطاعت ان تحقق من وراء تنفيذ هذا المشروع ارباحا ضخمة بحيلة ملتوية ـ كعادتها ـ فقد استغلت الامتياز الممنوح لها باستيراد « الكنكريت » اللازم لهذا المشروع دون رسوم جمركية . وادخلت الى البلاد اضعاف الكميات التى يحتاجها المبنى ، وباعت الفرق فى السوق السوداء . ومن فروق الاسعار حققت الشركة الاسرائيلية التى قامت بالتنفيذ ارباحا فوق ما يتصوره الخيال .. ! !

والشعب فى ساحل العاج يعرف هذه الحقائق جيدا . لكنه يقول ببساطة ان الارباح التى سوف يحققها المشروع سوف تعوض ـ فى بضع سنوات ـ كل ما سرقته اسرائيل .

وليس من العرب فى ساحل العاج سوى جالية لبنانية كبيرة تتخصص ـ كعادتها ـ فى ادارة المطاعم والنوادى الليلية ، وتمارس تجارة الاغذية والبرادات ، وتحقق من وراء ذلك ثروات هائلة تستثمرها فى اسواق المال الاوربية .

واذا اتجهت السياحة العربية الى ساحل العاج ، فسوف يجد السائح هناك كل ما يسعى اليه فى اوربا ، الى جانب جمال فى الطبيعة لن يجده فى اى مكان اخر من العالم .

واذا اتجهت رؤوس الاموال العربية الى ساحل العاج ، فسوف تجد هناك ـ ايضا ارباحا لا يمكن ان تحققها فى اى مكان اخر من العالم ...

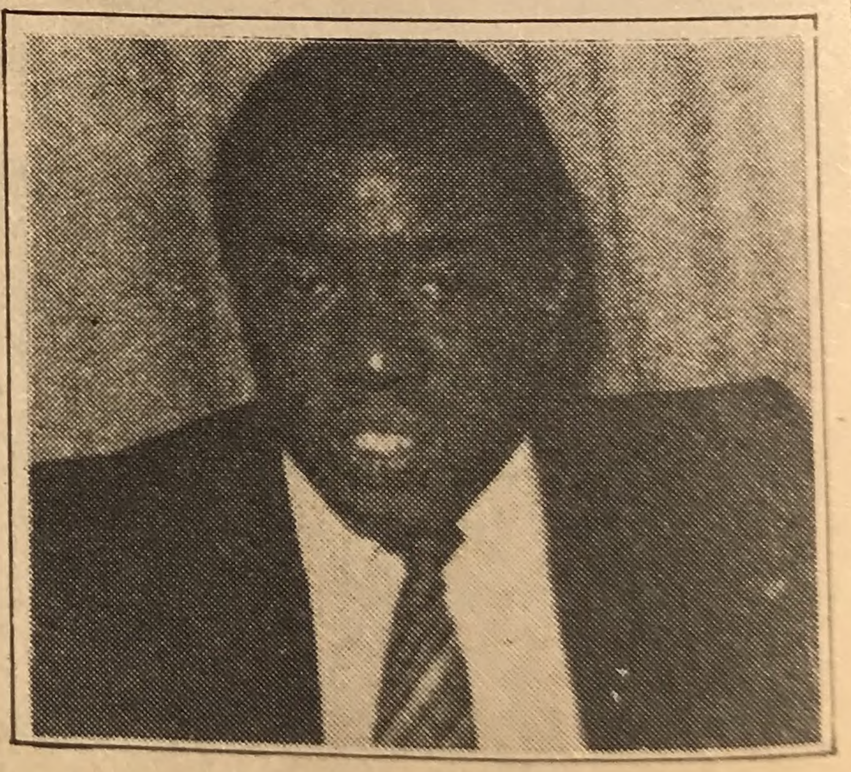

● الامين فاديكا ●
وزير النقل البحرى

● قرينة الرئيس بواتييه ●
رعاية النشاط الاجتماعى